

کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی

نام کتاب: الحقائق (فی اسرار الدین و مکارم الاخلاق)

مؤلف متن: محمد بن مرتضی محسن فیض کاشانی محشی

شارح ــــ مترجم ــــ

تاریخ تحریر ۱۲۷۱ نوع خط نسخ تعداد سطر ۱۶

جزء کتب اخلاق زبان عربی عدد اوراق ۲۶۹

طول ۱۸/۷ عرض ۱۱/۲ شماره عمومی ۲۵۱۱۹

وقفی / خریداری — تاریخ وقف / خریداری

ملاحظات: دارای کتیبه و نسخه ای اندازه ای دارد

جداول اوراق به زر و الوان است. تحریر والحمد لله [illegible] به شرف. غالباً به قلم ثلث در زمینه طلا، کاغذ ترمه، جلد مقوا، روی [illegible]

اندازه جداول اوراق: ۱۳/۵ × ۷

عربی

ا (حقائق فیض کاشانی)

موضوع: اخلاق و اخبار

مؤلف: علامه مولی محمد بن شاه مرتضی کاشانی

ملقب به ملا محسن فیض

آغاز: الحمد لله الذی نور قلوبنا بنور الایمان

انجام: اولاً و آخراً و ظاهراً و باطناً

کاتب: حسب الفرمایش امیر الامراء العظام سام خان

ایلخانی تحریر یافته است.

تاریخ: ۱۲۷۱

اندازه: (۱۶) ۱۸×۱۱ برگ (۲۷۲)

خط نسخ زیبا جلد مقوائی کاغذ ترمه‌ای

دارای سرلوح و جدول و تذهیب کاری است

عناوین را با شنگرف و فصول را با طلا نوشته‌اند.

قلینة

هذا
الكتاب المستطاب
الذي هو المسمى

بالحقايق
حقيق في الحقيقة ان
يكتب بقلم النور على صفحات خدود الحور
ولا يليق ان يرسم بالحبر على الاوراق بل بالتبر
على الاحداق حسب الفرمايش سركار عظمت مدار امير
الامراء العظام واسوة العظماء الفخام مقرب
الحضرة السلطان والمؤيد بتاييد
ملك المنان المسمى بسا
خان

والشهير
بالخاني حفظه
الله من آفات الدوران
في سنة ١٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذی نور قلوبنا
بنور الایمان وعرفنا من أسرار الحدیث القرآن
والصلاة علی محمد سید المرسلین وعلی آله الطیبین
الطاهرین المعصومین. اما بعد فیقول الفقیر الی الله
محمد بن مرتضی المدعو بمحسن أیده الله انی اذکر بعون الله
تعالی فی هذا الکتاب من اسرار الدین ما یرتقی
به من کان له قلب أو ألقی السمع وهو شهید
الی معارج الیقین. وانما أخذته من کتاب الله
تعالی وسنة سید المرسلین واحادیث الائمة
المعصومین. وأضفت الیه ما وجدت فی کتب
علماء الدین ولا سیما کتاب إحیاء علوم الدین
لأبی حامد محمد بن محمد الغزالی الطوسی مما
یصلح لان یکون بیاناً لمبانیه وتفسیراً لمعانیه
بتقریر أتقن ومزید متقن مؤثراً للفراید مخلیاً

سبيل الزوايد و تنبيه بالحقايق و رتبته على ست مقالات
فى كل مقالة ابواب و فى كل باب فصول و من الله التأييد

المقالة الاولى فيما هو من الاصول و فيها اثنا عشر بابا الباب الاول

فى العلم اعلم ان السبب لكلى لخلق العالم العلوى و السفلى و افضل
ما يتقرب به الى الله العلى هو العلم قال الله سبحانه و هو الذى
خلق سبع سموات و من الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شئ قدير و ان الله قد احاط بكل شئ علما و
قال شهد الله انه لا اله الا هو و الملائكة و اولوا العلم و قال انما
يخشى الله من عباده العلماء و قال هل يستوى الذين يعلمون و
الذين لا يعلمون و قال و تلك الامثال نضربها للناس و ما يعقلها
الا العالمون و فى الحديث النبوى صلى الله عليه و اله العلماء ورثة
الانبياء و فيه اللهم ارحم خلفائى قيل يا رسول الله و من
خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدى و يروون حديثى و سنتى
و فى الحديث العلوى ان كمال الدين طلب العلم و العمل به و ان طلب
العلم اوجب عليكم من طلب المال ان المال مقسوم مضمون
لكم قد قسمه عادل بينكم و قد ضمنه و سيفى لكم و العلم

مخزون عند اهله فاطلبوه وعن النبي لو يعلم الناس ما في
طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج وعن الباقر
عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وعن الصادق
من علّم خيرا فله اجر من عمل به وعن الرضا عن آبائه عن النبي انه قال
طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه
واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة
والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة
وبذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام
ومنار سبيل الجنة والمونس في الوحشة والصاحب في
الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء و
الضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع
الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس اثارهم ويقتدى
بفعالهم وينتهى الى رأيهم ترغب الملائكة في خلتهم و
باجنحتها تمسحهم وفي صلوتها تبارك عليهم ويستغفر لهم
كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر و
انعامه ان العلم حيوة القلوب من الجهل وضياء الابصار

من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل
الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الآخرة والاولى
والذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع
الرب ويعبد وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام
والعلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء
فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه والاخبار في فضيلة العلم
وشرفه اكثر من ان تحصى فصل اعلم ان الشيء النفيس
المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره
والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل
مما يطلب لغيره وما يطلب لذاته ولغيره اشرف مما يطلب لذاته
فحسب والمطلوب لغيره كالدنانير والدراهم فانهما حجران
لا منفعة فيهما ولولا ان الله عز وجل يسر قضاء الحاجات
بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة والذي يطلب لذاته ولغيره
فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث
انه سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوسل الى المآرب
والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا

فی نفسه فیکون مطلوبا لذاته ووجدته وسیلة الی سعادة
الدنیا والاخرة وذریعة الی القرب من الله فانه لا یتوصل الیهما
الا به واعظم الاشیاء رتبة فی حق الادمی السعادة الابدیة
والقرب من الله وافضل الاشیاء ما هو وسیلة الیهما
ولا یتوصل الیهما الا بالعلم والعمل ولا یتوصل الی العمل
ایضا الا بالعلم بکیفیة العمل فاصل السعادة فی الدنیا و
الاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاشیاء کیف لا وقد
یعرف فضیلة الشیء بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم
القرب من رب العالمین والالتحاق بافق الملائکة ومقاربة
الملاء الاعلی هذا فی الاخرة واما فی الدنیا فالعز والوقار
ونفوذ الحکم علی الملوک ولزوم الاحترام فی الطباع حتی
ان اغبیاء الترک واجلاف العرب یصادفون طباعهم مجبولة
علی التوقیر لشیوخهم لاختصاصهم بمزید علم مستفاد
من التجربة بل البهیمة بطبعها توقیر الانسان لشعورها
بتمیز الانسان بکمال مجاوز لدرجتها هذه فضیلة العلم
مطلقا ثم تختلف العلوم باختلاف مراتبها فیتفاوت لا محالة

فضائلها انتهاؤها الى ان ينتهي الى معرفة الله تعالى بحقيقة
اليقين التي هي اصل كل معرفة راسخة قال الصادق ع لو
يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا اعينهم
الى ما متع به الاعداء من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها و
كانت دنياهم اقل عندهم مما يطائونها بارجلهم ولنعموا
بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات
الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله تعالى انس من كل
وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من
كل ضعف وشفاء من كل سقم ثم قال قد كان قبلكم
قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم
الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير
ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا اذى بما نقموا منهم الا ان
يؤمنوا بالله العزيز الحميد فسألوا ربكم درجاتهم واصبروا
على نوائب دهركم تدركوا سعيهم فصل العلم علمان
علم الدنيا وعلم الاخرة وعلم الدنيا ما يرتبط به مصالح
الدنيا كالطب والحساب وعلم الاخرة علمان علم يقصد لذاته

وعلم يقصد

للعمل ليتوصل به الى العلم المقصود لذاته فان اريد به
الدنيا التحق بعلم الدنيا وعلم الاخرة محمود كله واما علم
الدنيا فمنه محمود ومنه مذموم اما العلم المقصود لذاته
فهو نور يظهر للقلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته
المذمومة فينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من
قبل اسمائها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة فيتضح له
ذلك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه و
بصفاته التامات بقدر الامكان وبافعاله وبحكمته
في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه الاخرة على الدنيا
والمعرفة بمعنى النبوة والنبي وبمعنى الامامة والامام و
معرفة معنى الوحي والالهام ومعنى الملئكة والشياطين
وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية
ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي الى النبي
صلى الله عليه واله وحديث الملك مع الامام والمعرفة
بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية
تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة

الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة
والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والشفاعة والحساب
ومعنى قوله عز وجل وكفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى
قوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون و
معنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب
منه والمقام في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ
الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت
درجات اهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب
الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله فان
للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها
مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي
اعد لعباده الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا
الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها
يوافق حقايقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم
ان منتهى معرفة الله سبحانه الاعتراف بالعجز عن معرفته

وبعضهم يدعى امورا عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل و
بعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع
العوام وهو انه سبحانه عالم قادر سميع بصير متكلم مريد
فنعنى بالعلم المقصود لذاته ان يرتفع الغطاء حتى يتضح
جلية الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى
لا شك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان الا ان مرآة
القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا فلا بد
من تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب
عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها و
تطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء و
الائمة عليهم السلم فى جميع احوالهم فبقدر ما ينجلى من القلب
ويحاذى به شطر الحق يتلالأ فيه حقايقه ولا سبيل الى
ذلك الا بالعلم والهدى والخشية والتقوى والفضة
والزكا وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث
بها من نعم الله عليه منها بشئ الا مع اهله وهو المشارك
فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار هذا

العلم الخفي هو الذي اراده النبي بقوله ان من العلم كهيئة
المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم
يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل ولم يتحمله الا اهل
الاعتراف بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله علما فان الله
عز وجل لم يحقره اذ اتاه اياه من امير المؤمنين ان من احب
عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن
وتجلبب الخوف نزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال
قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما لحدا
انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى و
صار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى
قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع
غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها
فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفي كلام اخر له قد
احيا قلبه وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه
وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل
وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبت

وبلاله الطمانينة بذبذ في قرار الامن والراحة بما استعمل
قلبه وارضى ربه وعنه اندمجت على مكنون علم لو بحت به
لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة وعنه
تعلمت من رسول الله الف باب من العلم فتح لي كل باب
الف باب سأل كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال
ما لك والحقيقة قال اولست صاحب سرك قال بلى ولكن
يترشح عليك ما يطفح مني ثم اجابه ثم سأل وعن كميل انه
اخذ بيدي فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء
ثم قال لي يا كميل بن زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها
اوعاها فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلثه فعالم رباني
ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق
يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا
الى ركن وثيق الى ان قال ها ان ههنا لعلما جما واشار
الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مأمون
عليه مستعملا آلة الدين للدنيا ومستظهرا بنعم الله
على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا

بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض
من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس
القياد للشهوة او مغرى بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين
في شئ اقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت
العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة
اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته
وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون عددا الاعظمون
قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعها نظرائهم
ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة
البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره
المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا
الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء
الله في ارضه والدعاة الى دينه اه اه شوقا الى رؤيتهم
وعن السجاد انه قال والله لو علم ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله
ولقد اخا رسول الله بينهما فما ظنكم بساير الخلق ان
علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب

او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان قال وانما
صار سلمان من العلماء لانه امرؤ منا اهل البيت فلذلك
نسبته الى العلماء اراد باهل البيت التوحيد والعلم والمعرفة
والحكمة لا اهل بيت النسوان والصبيان والاهل
والاولاد وقوله ايضا لبنوة سلمان منا اهل البيت و
قوله ايضا لو علم ابوذر ما في بطن سلمان من الحكمة لكفره و
في رواية لقتله ونقل عنه ابيات منسوبة اليه ع اني لاكتم من
علمي جواهره . كيلا يرى العلم ذو جهل فيفتتنا . وقد تقدم
في هذا ابو حسن . الى الحسين ووصى قبله الحسنا . ورب
جوهر علم لو ابوح به . لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا و
لاستحل رجال مسلمون دمي . يرون اقبح ما ياتونه حسنا .
وعنه ايضا الناس كلهم بهائم الا قليل من المؤمنين اقول و
تصديق ذلك قول الله سبحانه ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وعن
الصادق ع ان امرنا سر مستور في سر مقنع بالميثاق من
هتكه اذله الله وعنه ايضا ان امرنا سر مستور في سر و

سرّ مستسرّ وسرّ لا يفيده الّا سرّ وسرّ على سرّ مقنع بسرّ
و قال هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر
وباطن الباطن وهو السرّ وسرّ المستسرّ وسرّ مقنع
بالسرّ وقال مشيراً الى وجوب كتمان هذا السرّ التقيّة
ديني ودين آبائي فمن لا تقيّة له لا دين له وقال خالطوا
الناس بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون ولا تحملوا
على انفسكم علينا ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله
الا ملك مقرّب او نبي مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه
للايمان فصل واما العلم المقصود العمل المتوصّل
به الى العلم المقصود لذاته فقسمان احدهما علم الاخلاق
والثاني علم الشرايع اما علم الاخلاق فهو علم احوال القلب
اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء و
التسليم والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء
والعفو والاحسان وحسن الظن وحسن المعاشرة و
اداء الامانة والصدق والاخلاص ومعرفة المنة لله في
جميع الاحوال فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها

واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة
ما ضعف منها حتى يتقوى من علم الآخرة وما ما يذم
بخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد
والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء
في الدنيا للتمتع والتكبر والرياء والغضب والانفة
والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ
والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء
والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار
عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام و
التملق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب
النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج
الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل و
ضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة
السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطي والاتكال
على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل و
القسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف والانس

بالمخلوقين

بالخاوقين والوحشة لفراقهم الا الاعانة منهم على الدين و
الجفا والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه و
امثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال
المحظورة واضدادها التي هي الاخلاق المحمودة ومنبع
الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها
واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين
على من له اهلية ذلك والا فبعد حصوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها واما علم الشرايع فهو العلم بكيفية العبادات
المشروعة من الطهارة والصلوة والزكوة والصيام والحج
والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واسرارها و
العلم بالاحكام المحدودة من الحلال والحرام في المكاسب
والمعاملات من البيع والشراء والربا والقرض والقراض و
الاجارة والشركة والمزارعة والمداينة والرهان والضمان
والكفالة والوكالة والوديعة والاقرار والصلح و
العطايا والبر والنكاح والفراق وقسمة المواريث والعلم
بالحدود والتعزيرات والقصاص والديات وتجهيز ا

الاموات والعلم باداب الاكل والشرب واللباس
والمسكن والتحية والضيافة والطيب والكلام والمواخاة
والمعاشرة والسفر والحقوق الى غير ذلك وهو ايضا
فرض عين بقدر الاحتياج والذكا وفرض كفاية للفتيا
والقضا واما الطريق الى تحصيل هذين العلمين اعنى علم
الاخلاق وعلم الشرايع فهو ما نتلو عليك فاستمع واتبع
سبيل الذين هم مهتدون ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
فصل اعلم ان كلا من العلوم الثلثة الاخروية يسمى
بعلم الدين وعلم الفقه وتعلمه يسمى بالتفقه فى الدين قال
الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا
فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه عليكم بالتفقه فى دين الله تعالى ولا
تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه فى دين الله لم ينظر الله اليه يوم
القيمة ولم يزك له عملا وقال ليت السياط على رؤس اصحابى
حتى يتفقهوا فى الحلال والحرام وقال ان اية الكذاب ان يخبر
بخبر السماء والارض والمشرق والمغرب فاذا سالته عن

حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء الى غير ذلك مما في
هذا المعنى فالتفقه في الدين عبارة عن تحصيل البصيرة في
المسائل الدينية علمية كانت او عملية باطنية او ظاهرية
متعلقة بالعبادات او المعاملات فرضا معرفتها والعمل بها
او سنة او ادبا وغرضنا الان بيان كيفية هذا التحصيل
فان الناس اختلفوا فيه حتى اوقعوا الجماهير في التيه ونحن
بتاييد الله عز وجل نكشف عن وجه الحق فيه النقاب بحيث
لا يبقى معه شك ولا ارتياب فنقول ان الناس كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله ياخذون العلم عنه بما يوحى اليه
واما بعده فصاروا فرقتين فرقة قالوا بالاجماع الزور في
تعيين الامام وباتباع المتشابهات في العقايد والاحكام
مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة وابتغاء التاويل واختيار
المدلول قبل اختيار الدليل وهم اصحاب ابي بكر بن ابي
قحافة التيمي وعمر بن الخطاب العدوي ومن يحذو حذوهم
من الذين قالوا بالاجتهاد والراي في كل شيء فيتبدل
اراهم ويختلف علماؤهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى

الانفس وانهم لا يخرصون وهولاء صنفان مجتهد ومقلد
اما مجتهدهم فكيفية التفقه عنده استفراغ الوسع
فى تحصيل الظن فيما يحتاج اليه الناس من العلوم الدينية
اصولية كانت او فروعية من القوانين التى وضعوها
والقواعد التى اخترعوها للاستعانة بها على الاستنباط
من المتشابهات واما مقلدهم فكيفية التفقه عنده
ان ياخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بواسطة او
وسايط وفرقة قالوا بالنص من الله عز وجل فى تعيين الامام
والاقتصار على اتباع المحكمات فى العقايد والاحكام
ووقفوا على ما جاء به الوحى والتنزيل واتقاء عما كاد يفضى
الى الضلال والتضليل وهم اصحاب امير المؤمنين على بن
ابيطالب الذين لا يقولون الا على النصوص بالخصوص فى
كل شئ مسلمين لامامهم الاخذ علمه من الله ومن
رسوله فى كل ما القاه اليهم فى شئ شئ مطيعين لما امر
الله تعالى حيث قال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وحيث قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا

الرسول

الرسول واولي الامر منكم واما ما ترى من اجتهاد بعض متأخري
اصحابنا وتدوينهم الاصول وخوضهم في الفصول فانما
ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالفيهم كما بينا وجهه في
مسفوراتنا مع احتمال ان يكون سبب حدوثه فيهم اولاً
مصلحة ارادوها او مماشاة مع مخالفيهم راعوها لئلا
يزعموا ان دقائق العلوم ليست فينا ثم صار ذلك شبهة
لمن تأخر عنهم جرت فيهم ثم سرت في تدوينهم وعلى التقديرين
فليس ذلك قدحاً في مراتبهم العليا ولا سبباً لالحاقهم
بالفرقة الاولى حاشاهم عن ذلك فانهم حفظوا بهمته على
الفرقة الناجية الجليلة برويتهم المذهب الحق ومساعيهم
الجميلة ونفعهم جل النفيسة عن كثير من العباد والبلاد
فجزاهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد وهؤلاء
الفرقة الثانية يرجعون الى امامهم في الفقه حين تيسر لهم
ذلك والا فهم ايضاً صنفان بصير ومستبصر وبعبارة اخرى
فقيه ومتفقه وبعبارة ثالثة خاصي وعامي وان شئت
فسمهم المجتهد والمقلد فلا مشاحة في الالفاظ اما بصيرهم

وهو الذی له فهم وذكاء وقوة قدسية وزهد فی الدنيا
وورع فی الدين فكيفية التفقه عنده ان يتبع محكمات الكتاب
والسنة ومحكمات احاديث اهل البيت عليهم السلم مما
صح منهم فيستفهم منها ما يجب اعتقاده وما يجب ان يعمل
به ويشيد بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم ويؤيده
بواردات ترد على ذهنه المصفى باعماله الصالحة المرضية
وقلبه المنور بنور اخلاقه المهذبة الذكية فان شرف
العقل لا يخفى ولولاه ما عرف الشرع وكانه شرع من داخل
كما ان الشرع عقل من خارج وهما يتعاضدان ويتظاهران
الى ان يصير كانهما متحدان [illegible] ما ادى العبد فرايض الله
حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين فی فضل عبادتهم ما
بلغ العاقل والعقلاء هم اولوا الالباب ولا نظن ان خواص
المؤمنين انما امنوا بالله واليوم الاخر بمجادلات المتكلمين
وادلة المجادلين هيهات هيهات وانما عرفوا الله بمثل ما
قلناه من تعاضد العقل والشرع واجتماع النور الداخل
مع النور الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشمس فی

الرؤية والى مثل هذه العقل اشير بقوله عز وجل يكاد
زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يعنى نور العقل
والشرع في الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه
الله فى قلب من يريد الله ان يهديه فهذا البصير ان تبين
له الحكم بحيث لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه اخذ به وشكر
الله وان اشتبه عليه الامر وكل علمه الى الله والى الامام
المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحتياط ولا يفتى فى
مثله بالحتم والبت الحديث انما انه شرع عليكم ان تقولوا
بشئ ما لم تسمعوه منا الحديث كل علم لا يخرج من هذا البيت
فهو باطل واشار بيده الى بيته فلا يخرج من اقتفاء نفسه
قاعدة كلية غير منقحة ولا مسموعة ليقع الاختلاف فيه
كقاعدة حجية خبر الواحد او عدم حجيته على الاطلاق التى
لم يتحرر محل النزاع فيه قط ولن يتحرر الى غير ذلك من القوانين
المسماة عند اهلها باصول الفقه بل يطلب فى كل مسئلة
ائمته رواية خاصة يجوز التعويل عليها ودراية ناصة
تطمئن النفس اليها ولا يحكم فى المتشابه الا بالتشابه

لانه المحكم فيه وكيف يجوز ان يجعل المتشابه محكما وقد جعله
الله متشابها فلا ينبغي تاويله ولا مده الى احد الطرفين كما
يفعله الذي في قلبه زيغ وذلك لان الله سبحانه جعل
الامور ثلثة كما ورد في حديث النبوي بين رشده فيتبع
وبين غيه فيجتنب ومتشابهات بين ذلك يرد حكمها
الى الله والى الراسخين في العلم العالمين بتاويله فكيف يطلب
التثنى فيما حكم الله فيه بالتثليث مع ان في المتشابه
حكما ومصالح يمتحن الله بها اصناف عباده ولا يجمع ايضا
بين الاخبار المتعارضة الا بما اشار اليه المروي عنهم
عليهم السلام من التفصيل الذي ينتهي الى التخيير وبذلك
ينجو البصير من الخلاف والاختلاف والقول بالراي والحرب
فلا اجتهاد عنده ولا راي ولا اجماع بل ليس معوله الا
على الرواية والدراية والسماع ومعنى الاجماع عنده
ليس الا اتفاق قدماء الاصحاب على العمل بالنص المشهور
بحيث صار من الضروريات حتى عند الجمهور كمسح
الرجلين ونزع الخفين عند الوضوء فالاجماع عنده

تابع للنص مؤيد له لا النص مستنبط من الاجماع كما اشتهر
بين طايفة من اهل الخلاف والنزاع واليه اشير فی کلام ابی
الصادق في خبر تعارض الاخبار خذ بالمجمع عليه بين اصحابك
فان المجمع عليه لا ريب فيه واما عوام هذه الفرقة فكيفية
تفقههم ان ياخذوا مسائلهم عن خواصهم ولو بواسطة
او وسايط الا انا اليوم اشتبه عليهم الامر غاية الاشتباه
لالتباس من ليس من الخواص بالخواص وادخالهم انفسهم
في جملتهم فصارت العوام حايرين بايرين لا يهتدون
الى شيء ولا يدرون انا من اتبع فالحزم لهم ان يرجعوا في ذلك
الى قوم متدينين عارفين باهل البصيرة ليعرفوهم اياهم
فان لم يتيسر فليستفت العامي من غلب على ظنه انه متهم
وانه ممن لا يبيع دينه بدنياه فان افتاه بحكم فليسأله هل
هذا الحكم في كتاب الله او سنة رسول الله او حديث
احد من المعصومين فان قال نعم فليعمل به وان قال انه
ليس في شيء منها بخصوصه وانما يستفاد منها بالاستنباط
او هو مما اجمعوا عليه من غير نص يغني فيه او نحو ذلك

سئل غيره حتى يصادف من اجابه من القران والحديث
بخصوص ونصوص او اشار له الى الاحتياط والتخيير فال
فعل العامي ذلك فهو المتفقه في تلك المسئلة هذا هو
الحق المبين ومذهب علمائنا الاماميين وعليه المعول
في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت عليهم السلام و
تسمى بالشيعة والامامي والاثني عشري الا الاخذ بذلك
فان خرج عن هذا الطريق الى شيء من طرق المخالفين من غير
عذر فقد خرج عن حقيقة هذا الانتساب وهذه
التسمية على جهله وان لم يشعر بذلك ثم لا نظن ان
العالم بعد تتبعه مضمون اخبار المعصومين عليهم السلام
الهم لا بد ان يكون كالعلم بوجودهم في الوضوح والانارة
والقوة او تواترها كتواتره والا فهي اخبار احاد لا تفيد
الا الظن كلا كيف ولو زعمت ذلك فما اراك تستيقن
بامامتهم لان قوة علمك بامامتهم ليست كقوة علمك بوجودهم
ولا تواترها كتواتره قطعا بل اراك لم تعرف بعد ان اليقين
كالظن له مراتب في القوة والضعف وانه يزداد بازدياد

نورى العقل والشرع واعتضاد كل منهما بالآخر وانّ فى
الاحكام الشرعيّة يكتفى بأقلّ مراتبه مع انّ اكثر الاخبار
الاحكامية ليست فى القوة بأقلّ من اخبار الامامة متنا
وسندا فكلما اطمأنّت اليه النفس من الاخبار تعمل به و
كلّما لم تسكن اليه فنذره فى سنبله روى فى الكافى
باسناده عن ابى عبد الله انّه سئل عن اختلاف الحديث يرويه
من نثق به ومنهم من لا نثق به قال اذا ورد عليكم حديث
فوجدتم له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله صلعم
والّا فالّذى جاءكم به اولى به وروى باسناده عنه قال كلّ
شئ مردود الى الكتاب السنّة وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله
فهو زخرف وفى عيون اخبار الرضا فى حديث طويل قال
فى آخره بعد ذكر العرض على الكتاب ثم السنّة ثم التخيير
والرّد الى رسول الله صلعم وما لم تجدوه فى شئ من هذه الوجوه
فردّوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه بآرائكم
وعليكم بالكفّ والتثبيت والوقوف وانتم طالبون
باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا وقد ورد فى الحثّ على

العمل باخبارهم عليهم السّلم اخبار بلغت قريبًا من مبلغ
التواتر منها ما يدلّ على جواز الاخذ بها وان صدرت
عن تقيّة ومنها ما يدلّ على جواز العمل بها وان لم تصدر
عنهم في الواقع وهو قول الصّادق من سمع شيئًا من الثواب
على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه و
ذلك لانّه تسليم وطاعة وانقياد لا راي فيه ولا اجتهاد
وقال الصّادق احتفظوا بكتبكم فانّكم سوف تحتاجون
اليها وقال للمفضّل بن عمر اكتب وبثّ علمك في
اخوانك فان متّ فورث كتبك بنيك فانّه ياتي على
النّاس زمان هرج لا يانسون فيه الّا بكتبهم وقال
صاحب زماننا صلوات الله عليه واما الحوادث الواقعة
فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانّهم حجّتي عليكم وانا حجّة
الله عليهم وبالجملة قد اذنوا في الاخذ بالاخبار والكتب
بالتسليم والانقياد ولم ياذنوا بالاخذ بالآراء والاجتهاد
بل نهوا فليس لنا الّا الاتّباع والاقتصار على السّماع
من دون ابتغاء الدّليل والله يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل

فصل

فصل ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف
ما حمده الحامدون ان جعل لنا اماماً بعد امام ظاهراً فينا
وان كان مستوراً على اعدائنا الى ان انقضى من الهجرة النبوية
مائتان وستون سنة ثم جعل للاخير بعد غيبة سفراء
الى قريب من تمام ثلثمائة وثلثين سنة وكان اصحابنا في هذه
المدة المديدة ياخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها
من معدنها على اطمينان من قلوبهم وانشراح من صدورهم
بقدر قابليتهم ومرتبتهم ومنزلتهم فاغناهم الله بذلك
عن تقليد من لا يجوز تقليده ونجاهم به من حيرة الحيران و
بعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون الى الاصول الماخوذة
عنهم المشتملة على اكثر ما يحتاج اليه الناس حتى شذ
مسئلة ضرورية لا يكون فيها حكم جزئي او كلي عنهم
عليهم السلم ووفق له من وفق قال امير المؤمنين يا معشر شيعتنا
والمنتحلين ولايتنا اياكم واصحاب الراى فانهم اعداء السنن
تفلتت منهم الاحاديث ان يحفظوها واعيتهم السنة
ان يعوها فاتخذوا عباد الله خولا وماله دولا فذلت لهم

الرقاب واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا الحق
واهله فتمثلوا بالائمة الصادقين وهم من الجهال الملاعين
فسئلوا عما لا يعلمون فانفوا ان يعترفوا بانهم لا يعلمون
فعارضوا الدين بارائهم وضلوا واضلوا اما لو كان الدين
بالقياس لكان باطن الرجلين اولى بالمسح من ظاهرهما
وعن الباقر من افتى الناس برايه فقد دان الله بما لا يعلم
ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما
لا يعلم وعن الرشاد انه قيل له ترد علينا اشياء لا نعرفها
في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها قال لا اما انك لو اصبت
لم توجر وان اخطات كذبت على الله وقال امير المؤمنين
في ذم اختلاف الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من
الاحكام فيحكم فيها برايه ثم ترد تلك القضية بعينها
على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك
عند امامهم الذي استقضاهم فيصوب اراءهم جميعا
والههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد افامرهم الله
سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه

ام انزل الله سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمام
ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل
الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه واداءه والله سبحانه
يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان لكل شيء و
ذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف
فيه فقال سبحانه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا
تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا
به ومنها اعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل
عاما اول ويحرم ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس
لا يحل لكم شيئا مما حرم الله عليكم ولكن الحلال ما احل الله
والحرام ما حرم الله فصل واما علم الكلام فحاصل
ما يشتمل عليه من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن و
الاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة
مذمومة واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق و
تطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات

تزدريها الطباع وتمجها الاسماع واكثرها خوض فيما
لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء من ذلك مالوفا في العصر
الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن اليوم
صار مما لابد منه حراسة لقلوب العوام عن تخيلات
المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث
حاجة الانسان الى استئجار البذرقة في طريق الحج لحدوث
ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم
لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج والمتكلم ان تجرد
للمناظرة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد
القلب واصلاحه لم يكن من علماء الدين اصلا اذ ليس
عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشارك سائر
العوام فيها وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان و
انما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة
معرفة الله سبحانه وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا
اليه من العلوم الدينية فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد
يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وانما الوصول اليه

بالمجاهدة

بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال امير المؤمنين
من طلب الدين بالجدل تزندق وروي ان رجلا قال للحسين
اجلس حتى نتناظر في الدين قال يا هذا انا بصير بديني
مكشوف علي هداي فان كنت جاهلا بدينك فاذهب
فاطلبه ما لي وللمماراة وعن الباقر الخصومة تمحق الدين و
تحبط العمل وتورث الشك وعن الصادق لا يخاصم الا شاك
او من لا ورع له وعن الكاظم انه قال لعلي بن يقطين مر اصحابك
ان يكفوا عن السنتهم ويدعوا الخصومة في الدين و
يجتهدوا في عبادة الله عز وجل وعنه انه سئل في
مكاتبته انهم نهوا عن الكلام في الدين فتأول مواليك
المتكلمون بانه انما نهى من لا يحسن ان يتكلم فلم ينهه فهل
ذلك كما تأولوا فكتب المحسن وغير المحسن لا يتكلم فيه
فان اثمه اكبر من نفعه فصل انما منعوا من الجدال
والمناظرة لان لهما آدابا وشروطا لا بد من مراعاتها وآفات
يجب التجنب عنها وقل من يهتدي اليها ويوفق لما يجب و

واما من يحسن ان يتكلم

الا فالجدال بالتي هي احسن مامور به قال ابو محمد الحسن
العسكري ذكر عند الصادق الجدال في الدين وان رسول
الله والائمة قد نهوا عنه فقال الصادق لم ينه عنه
مطلقا ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي احسن اما تسمعون
الله يقول ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و
جادلهم بالتي هي احسن فالجدال بالتي هي احسن قد امر به
العلماء بالدين والجدال بغير احسن محرم حرمه الله على
شيعتنا وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى قال الله تلك
امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فجعل
علم الصدق الاتيان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان الا
في الجدال بالتي هي احسن قيل يا ابن رسول الله فما الجدال
بالتي هي احسن والتي ليست باحسن فقال اما الجدال بغير
التي هي احسن فان تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا
ترده بحجة قد نصبه الله تعالى ولكن تجحد حقا يريد ذلك

المبطل

المبطل ان يعين به باطله فيجحد ذلك الحق مخافة ان يكون له
عليك فيه حجة لانك لا تدري كيف المخلص منه.
فذلك حرام على شيعتنا ان يصيروا فتنة على ضعفاء
اخوانهم وعلى المبطلين اما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف
منكم اذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله
واما الضعفاء فتغتم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في
يد المبطل واما الجدال بالتي هي احسن فهو ما امر الله
به نبيه ان يجادل من جحد البعث بعد الموت واحياءه
تعالى له فقال حاكيا عنه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم قال الله تعالى في الرد عليه
قل يا محمد يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الى اخر السورة فاراد الله
من نبيه ان يجادل المبطل الذي قال كيف يجوز ان يبعث
هذه العظام وهي رميم فقال الله قل يحييها الذي انشاها
اول مرة فيعجز من ابتداه لا من شيء ان يعيده بعد ان يبلى بل
ابتداءه اصعب عندكم من اعادته ثم قال الذي جعل لكم

من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اى اذكمن ا
النار الحارة فى الشجر الاخضر الرطب ثم يستخرجها فعرفكم
انه على اعادة ما بلى اقدر ثم قال اوليس الذى خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم
اى اذا كان خلق السموات والارض اعظم وابعد فى اوهامكم
وقدركم ان تقدروا عليه من اعادة البالى فكيف جوزتم
من الله خلق هذا الاعجب عندكم والاصعب لديكم ولم
تجوزوا منه ما هو اسهل عندكم من اعادة البالى قال
الصادق فهذا الجدال بالتى هى احسن لان فيها قطع عذر
الكافرين وازالة شبههم واما الجدال بغير التى هى احسن
فان تجحد حقا لا يمكنك ان تفرق بينه وبين باطل
من تجادله وانما تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو
المحرم لانك مثله جحد هو حقا وجحدت انت حقا اخر

فصل وللعلم النافع صفات وعلامات واداب

فمن اسناده فى قول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
قال يعنى بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدق

فعله قوله فلبس بعالم منه اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم
والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم
منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم
وعن الرضا قال ان من علامات الفقيه الحلم والصمت و
عن الشاذ قال امير المؤمنين الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه
من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله
ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يترك القران رغبة عنه
الى غيره الا لا خير في علم ليس فيه تفهم الا لا خير في قراءة
ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة لا فقه فيها الا لا خير
في نسك لا ورع فيه يعني ان الفقيه حقيقة ليس الا
من يكون عالما بالمراد من الوعد والوعيد جميعا عارفا
لمقصود من الاوامر والنواهي جملة بملاحظة بعضها الى
بعض وانما عرفنا الفقيه بهذه العلامات السلبية لان
اكثر من يسمى عند الجمهور بهذا الاسم في كل زمان
يكون موصوفا باضدادها فكانه عليه السلم عرض بالعلماء
السوء والفقهاء الزور وندد بهم بكل علامة منها

من المذاهب لباطلها واكثرها فى الاصول والفروع
فبالاولى ابطل مذهب المعتزلة القايلة بايجاب الوعيد
وتخليد صاحب الكبيرة فى النار ومذهب الخوارج
المضيقين فى التكاليف الشرعية وبالثانية مذهب
المرجئة ومن يجرى مجريهم من المغترين بالشفاعة عن صحة
الاعتقاد وبالثالثة مذهب الحنابلة والاشاعرة ومن
يشبههم كاكثر المتفقهة وبالرابعة مذهب المتفلسفة
الذين اعرضوا عن القران واهله وحاولوا اكتساب العلم
والعرفان من كتب قدماء الفلاسفة ومذهب الحنفية
الذين عملوا بالقياس وتركوا القران والحديث والعلم
الذى ليس فيه تفهم كالعلم الظنى والتقليدى ومجرد
حفظ الاقوال والروايات فانها ليست بعلم فى الحقيقة
وعن الباقر انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها فقال الرجل ان
الفقهاء لا يقولون هذا فقال يا ويحك وهل رايت
فقيها قط ان الفقيه حق الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الاخرة
المتمسك بسنة النبى ص وعن الصادق ع فى طلبة العلم ثلثة

فاعرفهم

فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل و
المراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه
للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض
للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل
بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه و
قطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب
وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء
من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله
على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب الفقه
والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام
الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا
مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق
اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه
وعن النبي ص العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم
تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتاذون من
ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة و

حسرة رجل دعا عبدا الى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع
الله فادخله الله الجنة وادخل الداعي النار بتركه علمه
واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن
الحق وطول الامل ينسي الاخرة وعنه منهومان لا يشبعان
طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل
الله له سلم ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب
او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا ومن اراد
به الدنيا فهي حظه [illegible] مكتوب في الانجيل لا تطلبوا
علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به
لم يزدد صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا
وعن النبي من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به
السفهاء او يصرف وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده
من النار وان الرئاسة لا تصلح الا لاهلها وعن ائمتنا ان العلم
مقرون بالعمل فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل
فان اجابه والا ارتحل عنه وعنه اذا رأيتم العالم محبا
للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوطه

احب فصل ينبغي للمتعلم ان يطهر نفسه اولا من
رذايل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب
وصلوة السر وقربة الباطن الى الله فكما لا تصح الصلوة
التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر من
الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن
وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق
وانجاس الاوصاف قال النبي صلعم بني الدين على النظافة وهو
كذلك ظاهرا وباطنا قال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها
للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورتين على
الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب
مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث
والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث
صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات
في المال مهلكات في المال ولذلك قال رسول الله لا يدخل
الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة
ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل

الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها
كلاب نابحة فانى تدخل الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور
العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب الا بواسطة الملائكة
فصل ينبغي للمعلم ان يخلص تعليمه لله عز وجل من
غير طمع وان يشفق على المتعلم وينصحه ويقتصر على قدر فهمهم
وان يبذل العلم لاهله ويمنع عن غير اهله عن ابن عباس قال قام عيسى
بن مريم خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا
الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وان
لا يقول ما لا يعلم [illegible] ما حق الله على العباد قال ان يقولوا
ما يعلمون ويقفوا عما لا يعلمون عن ابن عباس قال ان الله خص
عباده بايتين من كتابه ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لا يعلمون
قال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله
الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم
تاويله وعنه اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك اياك
ان تفتي الناس برايك وتدين بما لا تعلم عن البراء من افتى
الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة

العذاب

العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه اريد بالعلم ما يستفاد
من الانوار الالهية والالهامات الحقة كما هو للائمة عليهم
السلام وبالهدى ما يسمع من اهل بيت النبوة كما هو لنا و
بملائكة الرحمة الهادون لنفوس الاخيار الى مقاماتهم
في درجات الجنان وبملائكة العذاب السائقون لنفوس
الاشرار الى منازلهم في دركات الجحيم والنيران وعن الصادق
اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا ادري ولا يقل
الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا واذا قال المسئول لا ادري
فلا يتهمه السائل فصل وينبغي لمن اراد العبادة لله سبحانه
ان يحصل اولا العلم بكيفية تلك العبادة ممن ماخذه ماخذ
العلوم جميعا اهل بيت النبوة الذين هم مهابط الوحي وينابيع
الحكمة الاخذين علومهم من الله سبحانه سئل الباقر
عن قول الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه ما طعامه قال
علمه الذي ياخذه عمن ياخذه ولما كان تفسير الاية ظاهرا
لم يتعرض له وانما تعرض لبناء بطنها وعن النبي من عمل بغير علم
كان ما يفسد اكثر مما يصلح وعن الصادق العامل على غير بصيرة

كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا والسر في
ذلك ان اصلاح القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية
وتصفية النفس وتهذيبها بالاعمال البدنية ليست
مقصودة بالذات لانها كالاعدام للملكات والعدم لا
يكون مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب ان ينكشف له المعارف
الحقيقية من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله و
اليوم الاخر لكل انسان بحسب عقله وفهمه على تفاوت من اتهم
في ذلك ولا ينكشف هذه المعارف الا بان يقع ذلك الاصلاح
والتطهير على وجه ماخوذ من صاحب الشرع صلوات
الله عليه مع اعتقاد صحيح واما السماع منه فمن اقتصر في
سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا
معرفة فالتصفية بصيرة بالاعلية اذ تحرك النفس بالخواطر
الوهمية ويستولي عليها الوساوس النفسانية فيتشوش
القلب حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة و
الافكار الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع
سنة
وخلفائه صلوات الله عليهم فيتشبث بالقلب خيالات فا

وتصورات

وتصورات باطلة واوهام كاذبة وربما يتخيل بالقلب في
ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته اعتقادات وخيالات
فاسدة من باب الكفر والزندقة في زعمها انها صحيحة حقة
نعوذ بالله منه وربما يقتدي به غيره فيتعدى شره ويصير
من الجاهلين المتنسكين الناقصين المطهرين ثم مع ذلك
قلما يخلو من اعجاب نفسه وافتخار بعلمه واغترار بعبادته
ونظر الى ساير الناس بعين الاحتقار والازدراء وربما
يتشحن باطنه بامراض نفسانية وهو غافل عنها غير
ملتفت الى معالجتها وازالتها وربما يظن الرذايل فضايل
والعيوب كمالات كما اخبر الله سبحانه بقوله قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا قال امير المؤمنين قصم ظهري
رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس
بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه وقال الصادق لا يقبل
الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة
على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه

من بعض معانا ان كل معرفة تثمر حالا واوصافا في النفس
وكل حال تحمل صاحبه على عمل وعبادة وكل عبادة
تثمر حالا اخرى واوصافا غير الاولى وهو يثمر معرفة اخرى سوى
الاولى وهكذا يتكامل ايمان المرء بالمعرفة والعبادة حتى من
بلغ الغاية وخلص من التعب والمشقة واستقر في مقام الا
والراحة واصلا الى عين اليقين ومثال ذلك مثل من يمشي
بسراج في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعة مشى فيه
فيصير ذلك المشي سببا لاضاءة قطعة اخرى وهكذا وفي
[illegible] النبوي من علم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم
فصل قد ورد في ذم اهل البدع والاهواء والجهال
المتشبهين بالعلماء اخبار كثيرة عن ائمة الهدى صلوات
الله عليهم ولنورد منها نبذا يكون انموذجا لما سواها
عن الصادق قال قال رسول الله اذا رايتم اهل البدع والريب
من بعدي فاظهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم و
القول فيهم والوقيعة وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الفساد
في الاسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله

تعالى لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات وقال
اذا ظهر البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه
لعنة الله وقال ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها
الايمان ولياً من اهل بيتي يذب عنه ينطق بالالهام من الله
ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء
فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله وقال كل بدعة
ضلالة وكل ضلالة في النار وقال امير المؤمنين في خطبة له
انما بدو وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف
فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل
خلص لم يخف على ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف
ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان
فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجا
الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال ان من ابغض الخلق
الى الله تعالى لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر
عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة وقد لهج بالصوم
والصلوة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان

قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد موته حمال
خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال
الناس غار باغباش الفتنة قد سماه اشباه الناس
عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر ما قل منه
خير مما كثر حتى اذا ارتوى من اجن واكثر من غير طائل
جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره
وان خالف قاضيا سبقه لم يأمن ان ينقض حكمه من يأتي
بعده كفعله بمن كان قبله وان نزلت به احدى المبهمات
المعضلات هيأ لها حشوا من رايه ثم قطع فهو من لبس الشبهات
في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ لا يحسب
العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان وراء ما بلغ فيه مذهبا
ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه امر اكتتم
به لما يعلم من جهل نفسه نكن الصواب لكيلا يقال له
لا يعلم ثم جسر فقضى فهو مفاتيح عشوات ركاب شبهات
خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض
في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح

الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل
بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملي
باصدار ما ورد ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق
قال الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا
ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا
انفق سلعة واغلا ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه
ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر
ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس
من الحق الا بعدا وان دين الله لا يصاب بالمقاييس
انه من نظر برايه هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيه
كفر ولما كان غرضنا في هذا الكتاب مقصورا على
حقايق العلوم الدينية اكتفينا بذلك ولم نتعرض لازيد
منه ولا للعلوم الاخر عن امير المؤمنين انه قال العلم
اكثر من ان يحاط به فخذوا من كل علم احسنه وزاد
في رواية اخرى فان النحل ياكل من كل زهر ازينه فيتولد
منه جوهران احدهما فيه شفاء للناس والاخر يستضاء

به انوار وتصديق ذلك فى قوله عزّوجلّ فبشّر عبادى
الّذين يستمعون القول فيتّبعون احسنه اولئك الّذين
هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب
فى العقايد اعلم انّ العقايد لا يجوز اخذها الا بوحى من
الله سبحانه بواسطة الانبياء ثمّ الاوصياء مع ما فطر
النّاس عليه من المعرفة قال تعالى فطرة الله التى فطر
النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم فقد
ورد انّ المراد بها المعرفة وفى رواية التوحيد وفى الحديث
النّبوى كلّ مولود يولد على الفطرة فابواه يهوّدانه وينصّرانه
ويمجّسانه والفطرة فى الاصل الجبلّة وهى عبارة عن
العقل المطبوع الّذى هو شرع من داخل كما انّ الشّرع
من خارج فانّ العقل كالسّراج والشّرع كالزّيت يمدّه
فما لم يكن زيت لم يشعل السّراج وما لم يكن سراج لم يضيئ
الزّيت وايضا العقل كالبصر والشّرع كالشّعاع ولن ينفع
البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغنى الشّعاع ما
لم يكن بصر قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به

الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه فسحقا لاقوام عزلوا عقولهم وعرضوا
عن رسولهم واتبعوا اهواءهم فضلوا واضلوا ثم ان اعقل
العقلاء انبياء وخير الشرايع شرعهم وانما ارسله الله وانزل
معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط فيصدع بامر الله ويهدي
الخلق الى صراط الله وان يرشدهم الى معرفة صانعهم ويفوق
اخرهم ببيان وبرهان باستطاعة عقولهم وينبههم على ادلة
وحجج بلغت اليها افهامهم فاتى كل طائفة من ذلك بما
يصلح لعقله وفهمه من برهان وخطابة وجدال بالتي
هي احسن ومعجزة لمن له الغباوة ليكونوا على بصيرة من
امرهم وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
ثم اكمل لهم امور دينهم بحيث لم تحتج امته الى ارشاد
السالفين فيما بينهم وبعينهم من امر الدين وليس لقائل
ان يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع يتوقف على ثبوت
الصانع وصفاته الكمالية فكيف يعرف الصانع وصفاته
بالانبياء والشرايع وذلك لانه لو لم يكن صاحب هذا الكلام

والبيان مقبول القول ومعصوم الفعال لكان فيهما الحجة من حيث
مطابقتهما لمقتضى العقول السليمة فإن براهينه هي المتبعة
وبيّناته وحججه هي الملزمة على أن ما يتوقف عليه الشرع من
معرفة الصانع وصفاته يجري مجرى الضروريات التي
يحكم بها كل من له أدنى مسكة قال الله عز وجل ولئن سألتهم
من خلق السموات والأرض ليقولن الله فقد ثبت أن ما
ورد في الشرع كاف في الاهتداء إلى سبيل الحق مع ما
جبل عليه أهل السلامة من العقل المطبوع فلا حاجة إلى
تكلفات المتكلفين مع اختلاف طبقاتهم وتشعب
آرائهم وتناقض أهوائهم في أنباء الأدلة وانتقاض الحجج
على أمور الدين فإنهم جمعوا بين الجهل وسوء الأدب أما
الجهل فلكونهم ما عرفوا موضع الدلالة فيما نصبه الحق
دليلا وأما سوء الأدب فمعارضتهم له سبحانه بما دخلوا
فيه مما يزعمونه دليلا فجعلوا نظرهم في الدين أتم في الدلالة
مما دل عليه الحق تعالى عن ذلك أفأنزل الله دينا ناقصا
فاستعان بهم على إتمامه أم أنزل الله دينا تاما فقصر

الرسول عن تبليغه واداته والله سبحانه يقول ما فرطنا في
الكتاب من شيء فيه تبيان كل شيء نهـ لامير المؤمنين
القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا
تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به فصل
لما ثبت ان حجة الله سبحانه نبينا وقد ثبت انه
ترك من بعده لحالة فيه الثقلين كتاب الله وعترته
المصطفين وما اوصى امته في ذلك الا بالتمسك بهما كما
استفاض به الاخبار من طريقي العامة والخاصة جميعا
على اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى نهـ انه قال اني تارك
فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب
الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض
ومعنى عدم افتراقهما ان علم الكتاب كله هو عند العترة
فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا وفي نهـ ايها اني امرء
مقبوض واوشك ان ادعى فاجيب وقد تركت فيكم
الثقلين وفي اخرى الاكبر منهما كتاب الله سبب طرفه
بيد الله وطرف بايديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا والاصغر

منهما لا تعلّموهم ولا تقهروهم فانّي سألت اللطيف الخبير
ان يردا على الحوض فاعطاني فقاهرهما قاهري وخاذلهما
خاذلي ووليّهما وليّي وعدوّهما عدوّي ينابيع وهما
الخليفتان بعدي ص سئل امير المؤمنين عن معنى الحديث
من العترة فقال انا والحسن والحسين والتسعة من ولد
الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله و
لا يفارقهم حتى يردا على رسول الله ص حوضه ينابيع
من جعلهما امامه قاداه الى الجنة ومن جعلهما خلفه ساقاه
الى النار في المستفيض انّ مثل اهل بيتي كمثل سفينة
نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق في البحار عن الباقر
قال قال رسول الله ص انا اوّل وافد على العزيز الجبّار يوم القيمة
وكتابه واهل بيتي ثم امّتي ثم اسألهم ما فعلتم بكتاب الله
واهل بيتي في البحار عن آبائه قال قال رسول الله ص ايّها
النّاس انكم في دار هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع
وقد رايتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كلّ جديد
ويقرّبان كلّ بعيد وياتيان بكل موعود فاعدّوا

الجهاز

الجهاد لبعد المجاز قال فقام مقداد بن الاسود فقال يا رسول
الله ص وما دار الهدنة فقال دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست
عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقران فانه شافع
مشفع وماحل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة
ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو الدليل يدل على خير
سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل
ليس بالهزل وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره
انيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تحصى
عجايبه ولا تبلى غرايبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة
ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره و
ليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويتخلص من نشب فان
التفكر حيوة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات
بالنور فعليك بحسن التخلص وقلة التربص وعنه قال
قال رسول الله ص القران هدى من الضلالة وتبيان من
العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من
الاجداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان

من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الاخرة وفيه كمال دينكم
فما علمنا احد من القرآن الا الى النار ومن الائمة المعصومين
من لم يعرف امرنا من القرآن لم يتنكب الفتن وعنهم عليهم
السلم من اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى زالت
الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال ردته
الرجال قال محمد بن يعقوب الكليني ره بعد نقل هذا الحديث
ولهذه العلة انبثقت على اهل دهرنا بثوق هذه الاديان
الفاسدة والمذاهب المستشنعة التي قد استوفت شرايط
الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق الله عز وجل وخذلانه
فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه ثابتا مستقرا
سبب له الاسباب التي تؤديه الى ان ياخذ دينه من كتاب
الله وسنة نبيه بعلم ويقين وبصيرة فذاك اثبت في
دينه من الجبال الرواسي ومن اراد الله خذلانه وان يكون
دينه معارا مستودعا نعوذ بالله منه سبب له اسباب
الاستحسان والتاويل والتقليد من غير علم وبصيرة فذاك
في المشية ان شاء الله تبارك وتعالى اتم ايمانه وان شاء

سلبه

سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي
مؤمنا ويصبح كافرا لانه كلما راى كبيرا من الكبرا مال معه
وكلما راى شيئا استحسن ظاهره قبله قد قال العالم ان الله
تعالى خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء و
خلق الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء
واعار قوما ايمانا فان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم
اياه قال وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع عن
جابر بن عبد الله الانصاري قال لما انزل الله عز وجل على
نبيه يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول و
اولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله
فمن اولي الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال ع
هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي اولهم علي بن ابي
طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن
علي المعروف في التورية بالباقر وستدركه يا جابر فاذا
لقيته فاقراه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى
بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد

ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته
في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى على
يديه مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن
شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته
الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت له يا رسول
الله فهل ينتفع شيعته به في غيبته فقال والذي
بعثني بالنبوة يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته
في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجللها سحاب
يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه
الا عن اهله فصل اعلم ان الناس في فهم العقايد و
قبولها على طبقات ومنازل بعضها فوق بعض ليسوا في
درجة واحدة وانما كلف الله عباده بقدر ما اعطاهم من
العقل والفهم والوسع قال الباقر ان المؤمنين على منازل
منهم على واحدة ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلث ومنهم
على اربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع
فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة اثنتين لم يقو وعلى

صاحب اثنتين ثلثا لم يتق وساق الحديث وفي الانقاذ
الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام
المنتهى تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه
الراجح الزايد رجحانه وفيه ايضا لو علم الناس كيف خلق الله
هذا الخلق لم يلم احد احدا فينبغى ان يقدم الى الصبي في
اول نشوه وتمييزه ترجمة العقايد ليحفظها حفظا ثم لا
يزال ينكشف معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ
ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك
مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب
الانسان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى
حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام
مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد
الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في
الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه
ولا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ
به ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته ان

يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران
وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف
العبادات فلا يزال يقوى اعتقاده ويزداد رسوخا بما
يقرع سمعه من ادلة القران وحججه وبما يرد عليه من
شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من
انوار العبادات ووظايفها وما يسري اليه من مشاهدة
الصالحين ومجالستهم ورؤية سيماهم وسيرهم وهيأتهم
في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون
اول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب
كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى و
يرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء
وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة
فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر
مما يصلحه والمشاهدة تكفيل في هذا بيانا و
ناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح و
التقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين

فتري

فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لا تحركه
الدواهى والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده
بتقسيمات الجدل كخيط المرسل فى الهواء تفيه الريح مرة
هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد
فتلقفه تقليداً كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً ولا فرق
بين التقليد فى تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن
الدليل شئ والاستدلال بالنظر شئ اخر بعيد عنه
ثم الصبى اذا وقع نشوه على هذه العقايد ان اشتغل
بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه سلم فى الاخرة
باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع العرب اكثر من التصديق
الجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش و
تكلف نظم الادلة فلم يكلفوا اصلا وان اراد ان يكون
من سالكى طريق الاخرة وكان اهلا لذلك وساعده
التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن
الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب من
الهداية ويكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهى يقذف

فی قلبه بسبب المجاهدة تحقیقا لوعده تعالی اذ قال والذین
جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا وهو الجوهر النفیس الذی
هو غایة القصد للصدیقین والمقربین وله درجات بحسب
درجات المجاهدة ودرجات الباطن فی النظافة وتطهیره
عما سوی الله وفی الاستضاءة بنور الیقین وذلك
کتفاوت الخلق فی اسرار الطب والفقه وسایر العلوم
اذ یختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطن فی
الذکاء والفطنة فکما لا ینحصر تلك الدرجات فکذا هذه واما
تفصیل متعلقات العقاید للخواص وکیفیة المجاهدة لهم
فقد اشرنا الیها فی الفصل الثالث من الباب الاول

فصل قال حجة الفرقة الناجیة نصیر الحق والدین
محمد بن الحسن الطوسی طاب ثراه اول ما یجب اعتقاده علی
المکلف هو ما ترجمة قول لا اله الا الله محمد رسول الله صلعم
ثم اذا صدق الرسول فینبغی ان یصدقه فی صفات الله و
الیوم الاخر وتعیین الامام المعصوم کل ذلك بما یشتمل
علیه القرآن من غیر مزید برهان اما فی صفات الله فبان

حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع
العليم واما في الاخرة فبالايمان بالجنة والنار والصراط
الميزان والحساب والشفاعة وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث
عن حقيقة الصفات وان الكلام والعلم وغيرهما حادث او
قديم بل لو لم يخطر هذه بباله ومات مات مؤمنا فان غلب
على قلبه شك او اشكال فان امكن ازالته بكلام قريب من
الافهام وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا
فذلك كاف ولا حاجة الى تحقيق الدليل فان الدليل لا يتم
الا بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن
ان تتشبث بالخاطر والقلب فيظنها حقة لقصوره عن
ادراك جوابها اذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا
لا يحمله عقله ولذا ورد الزجر عن البحث والتفتيش والكلام
انما زجروا ضعفاء العوام واما ائمة الدين فلهم الخوض في
غمرة الاشكالات ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى منع
الصبيان عن شاطئ الدجلة خوفا من الغرق ورخصته
الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة

الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف
فى عقله يظن انه يقدر على ادراك الحقايق كلها وانه من
جملة الانبياء فربما يخوضون ويغرقون فى بحر الجهالات
من حيث لا يشعرون والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ
النادر الذى لا يسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين
من تجاوز سلوك اهل العلم فى الايمان المرسل والتصديق
المجمل بكل ما انزل الله واخبر به رسول الله فمن اشتغل
فى الخوض فيه فقد اوقع نفسه فى شغل شاغل اذ قال
رسول الله حيث راى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى
احمرت وجنتاه ابهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه
ببعض انظروا فيما امركم الله فافعلوا وما نهاكم عنه
فانتهوا وهذا تنبيه على منهج الحق وفى مصباح الشريعة قال
الصادق اتقوا الله وكن حيث شئت ومن اى قوم شئت فانه
لا خلاف لاحد فى التقوى والتقى محبوب كل فريق وفيه
جماع كل خير ورشد الى ان قال لزم ما اجمع عليه
اهل التقى والصفا من اصول الدين وحقايق اليقين و

الفصل

الرضا والتسليم ولا ندخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم
فيصعب عليك وقد اجمعت الامة المختارة بان الله واحد
ليس كمثله شئ وانه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد ولا يقال له في شئ من صنعه لم ولا كان ولا يكون
شئ الا بمشيته وانه قادر على ما يشاء وصادق في وعده
ووعيده وان القرآن كلامه وانه كان قبل الكون والمكان
والزمان وان احداثه وافناءه عنده سواء لا يزداد بايجادهم
علما ولا ينقص بافنائهم ملكه عن سلطانه وجل سبحانه فمن
اورد عليك ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله وجرد بالطلب
لذلك تري بركاته وتفوز مع الفائزين فصل
اعلم ان الاسرار التي يكتمها العلماء عن العوام منها ما
يقصر عن دركه افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم وذلك
كالروح فانه من عالم الملكوت والعوام لم يتجاوز علمهم عن
عالم الملك فاذا افشوه اليهم يصير فتنة لهم قال الله تعالى
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم
من العلم الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل

الفهم عن ادراكه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين وسر
القدر من هذا القبيل ولهذا منع من افشائه ولا استبعاد
فى ان يكون ذكر بعض الحقايق مضر ببعض الخلق كما يضر نور
الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها
ما يكون بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى
على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع
اغلب وانم مصلحة فى ان يعظم وقع ذلك الامر فى قلبه كما
لو قال قايل رايت فلانا يقلد الدر فى اعناق الخنازير و
كنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع
قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك
الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك
السر والباطن فيتفاوت الناس بذلك وكذلك ما
ورد فى الحديث اما يخشى الذى رفع راسه قبل الامام
ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة
لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كاين اذ
حقيقة الحمار وخاصيته هى البلادة والحمق ومن رفع

راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار فی معنی
البلادة والحمق وهو المقصود دون الشکل الذی هو غایة
المعنی اذ هو من غایة الحمق ان یجمع بین الاقتداء وبین
التقدم فانهما متناقضان وهذا النوع یرجع الی التعبیر
عن المعنی بالصورة التی تتضمن عین المعنی او مثله ومن
هذا القبیل قوله تعالی فقال لها وللارض ائتیا طوعا او کرها
قالتا اتینا طائعین فانه تمثیل التاثیر قدرته فیهما وتاثرهما
بالذات عنها بامر المطاع واجابة المطیع الطائع وقوله
عز وجل انما قولنا لشیء اذا اردناه ان نقول له کن فیکون
وهو نوع من الکلام باطنا من دون حرف وصوت
ومنها التعبیر عن الصراط بالجسر الممدود بین الجنة والنار
وعن المیزان بذی الکفتین الی غیر ذلک ومنها ما یدرک
الانسان الشیء جملة ثم یدرکه تفصیلا بالتحقیق والذوق
بان یصیر حالا له ملابسا فیتفاوت العلمان فیکون الاول
کالقشر والثانی کاللب والاول کالظاهر والثانی کالباطن
وذلک کما یتمثل للانسان فی عینه شخص فی الظلمة او علی البعد فیحصل

له يدع علم فادراه بالقرب والبعد وال الظلام ادراك تفرقه
بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك
في العلم والايمان والتصديق ومن هذا القبيل اكثر العقائد

فصل في تفسير الامام ابي محمد العسكري ع في قوله تعالى

ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني قال رجل للصادق
اذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب الا
بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم الى غيره فكيف ذمهم الله
بتقليدهم والقبول من علمائهم وهل عوام اليهود الا كعوامنا
يقلدون علماءهم فان لم يجز لاولئك القبول من علمائهم
لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم فقال ع بين عوامنا وعلمائنا
وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة فاما
من حيث استووا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم
كما ذم عوامهم واما من حيث افترقوا فلا قال بين لي يا ابن
رسول الله قال ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم
بالكذب الصراح وباكل الحرام والرشى وبتغيير الاحكام عن
واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات وعرفوهم

بالتعصب

بالتعصب الشديد الذي يفارقون به اديانهم اذا تعصبوا واقم
ازالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا ما لا يستحقه من
تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم من اجلهم وعرفوهم
يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف تاويلهم الى ان من
فعل ما يفعلونه فهو فاسق ولا يجوز ان يصدق على الله ولا
على الوسايط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم لما قلدوا
من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه
في حكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عن لم يشاهدوه
ووجب عليهم النظر بانفسهم في امر رسول الله صلى الله عليه وآله اذ كانت
دلايله اوضح من ان يخفى واشهر من ان لا يظهر لهم وكذلك
عوام امتنا اذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية
الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها واهلاك
من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا
والترفرق بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان
للاذلال والاهانة مستحقا فمن قلد من عوامنا مثل
هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله تعالى

بالتقليد لفسقة فقهائهم فاما من كان من الفقهاء
صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لامر
مولاه فللعوام ان يقلدوه وذلك لا يكون الا بعض
فقهاء الشيعة لا جميعهم فان من ركب من الفواحش
والقبائح مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم
عنا شيئا ولا كرامة الباب الثاني في معرفة النفس و نعني
بها الجوهر اللطيف الملكوتي الذي يستخدم هذا
البدن الجسماني في حاجاته مسخرا له تسخير المولى لخدمه
وهو ذات الانسان وحقيقته العالمة بالمعلومات وله
في هذا البدن جنود جسمانية هي الاعضاء وجنود
روحانية هي القوى قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقال نبينا صلعم من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال اعرفكم
بنفسه اعرفكم بربه وقد يسمى هذا الجوهر الملكوتي
بالروح لتوقف حيوة البدن عليه وبالقلب لتقلبه في
الخواطر وبالعقل لاكتسابه العلوم واتصافه بالمدركات
وقد تستعمل هذه الالفاظ الاربعة في معان اخر تعرف

در معرفت نفس

بها ان

بالقرائن ثم النفس توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف
احوالها فاذا سكنت تحت الاوامر والنواهي وزايلها الاضطراب
بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة
قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك
راضية مرضية واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت
مدافعة للشهوة والغضب ومعترضة عليها سميت النفس
اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى
الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء
قال الله تعالى اخبارا عن يوسف وما ابرئ نفسي ان
النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فصل اعلم
ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا
تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان
مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان
عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه
وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله
الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة

قال تعالى لا اقسم بالنفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها

والفكر وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على
الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان
ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب و
الشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر
الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط
الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون الشهوة مسخرة
لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه **فصل** علم ان
الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب
فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف و
هي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية
فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع
من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب و
الشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال
البهايم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه
في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي
فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء

والتخصص

والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالربانية
والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي
الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة
والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن
اذا قرن بالجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء
بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف الربوبية وفي الانسان
حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهايم بالتميز مع
مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه
شيطانية فصار شريرا يستعمل التميز في استنباط وجوه
الحيل والشر ويتوسل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع
ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين و
كل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني
الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك
مجموع في القلب كان المجموع في اهاب الانسان خنزير و
كلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم
يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه

وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري او
الكلب العقور ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة و
اللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان
والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وعقره وحرص
الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء و
المنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان
لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما
بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي
هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره
بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق
الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الخنزير عليه
ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك
وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن
وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرهما
قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق
الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما

الكلب عليه اذ بالغضب تكسر سورة الشهوة وبدفع ضراوة الكلب بتسليط صح

في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان
اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء فصل
اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة و
الخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة
والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها
واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة
التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة
والتكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف و
تحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما الحاعة
الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة
المكر والخداع والحيلة والدها والجربزة والتلبيس و
الغش والخباء والجفا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع
تحت سياسته الصفة الربانية لاستقر في القلب
من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة
بحقايق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء
على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على

الخلق بكمال العلم وجلالته ولا يستغني عن عبادة الشهوة
والغضب ولا يتيسر اليه من ضبط خزير الشهوة ورده
الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل الفقه والقناعة و
الهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن
الهيئة والحيا والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل من
ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة
الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال
والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها
والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه
وهذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب اما الآثار
المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء
واشراقا ونورا وضياء حتى يتلالا فيه جلية الحق و
ينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى
مثل هذا القلب الاشارة بقوله اذا اراد الله بعبد خيرا
جعل له واعظا من قلبه وبقوله من كان له من قلبه و
كان عليه من الله حافظا وهذا القلب هو الذي يستقر

فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما
الاثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة
القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود
ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله وهو الطبع والرين
قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقال تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم
فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع بالذنوب
كما ربط السماع بالتقوى حيث قال تعالى واتقوا الله
واسمعوا واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله
ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى
القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين
بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليه
فاذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل
من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم
يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا
من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا

هو معنى اسوداد القلب من الذنوب كما نطق به القران
والسنة قال امير المؤمنين ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء
فاذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب
كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهكت الحرمات
زادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم
قال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ان
القلوب ثلثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب
الكافر وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يختلجان
فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح
تزهر لا يطفى نوره الى يوم الاخرة وهو قلب المؤمن و
قال الصادق ان القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار
ليس فيه ايمان ولا كفر كالثوب الخلق ثم قال
اما تجد ذلك من نفسك قال ثم يكون النكتة من الله
في القلب بما شاء من كفر وايمان فصل ان
القلب مثاله مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال
من كل باب ومثال هدف تنصب اليها السهام من الجوانب

اومثال المرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة
فيتراءى فيها صورة بعد صورة اومثال حوض ينصب اليه
مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه ومداخل هذه الاثار
المتجددة فيه فى كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما
من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق
المركبة فى مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا
حصل منه اثر فى القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة
مثلا بسبب كثرة الاكل وبقوة المزاج والاثار بقى و
الخيال من شئ الى شئ بحسب انتقال الخيال ينتقل القلب
من حال الى حال فالقلب دائما فى التغير والتاثير من هذه
الاسباب واخص الاثار الحاصلة فيه هى الخواطر و
اعنى بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار اما
على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر والخواطر هى
المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما
يكون بعد خطور المنوى بالبال لا محالة فمبداء الافعال
الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك النية والنية

والعزم تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة ينقسم
الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما
يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الاخرة فهما خاطران
مختلفان فالخاطر المحمود يسمى الهاما والمذموم يسمى
وسوسة وسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا و
سبب الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به
يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به
يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا
والملك عبارة عن خلق خلقه الله لافاضة الخير وافادة
العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف والشيطان
عبارة عن خلق شانه الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف
عند الهم بالخير بالفقر والقلب متجاذب بينهما لقوله
في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق
فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من
العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير
ومن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا الشيطان

يعدكم

يعدكم الفقر الاية ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن يقلبه كيف يشاء كنى به عن سرعة التقليب والقدرة
على التجاذب والتغيير باستسخار الملك والشيطان فانهما
مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك
مسخرات في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة
صالح لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار الشياطين قبولا
متساويا وانما يترجح احدهما على الاخر باتباع الهوى
والاكباب على الشهوات ومخالفتها فمهما غلب على
القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان
مجالا فوسوس ومهما انصرف الى ذكر الله تعالى ارتحل
الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد
بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب
دايما الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيسكن ولا يستوحش
ويكون اجتياز الثاني اختلاسا قال الله تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
فصل اعلم انه قد يلتبس لمة الشيطان بلمة الملك

فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير كما
يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى
من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك
رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنهيك (بنصحك) ووعظك
وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة
فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة
العلم ودعوة خلق الله سبحانه الى الصراط المستقيم فلا
يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطايف الحيل الى
ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم
ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل
ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا
الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يولد شوائب
الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر
الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح
الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده
الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله

بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر فصل قال بعض اهل المعرفة
ان الهام الملك ووسوسة الشيطان يقع في النفوس
على وجوه وعلامات احدها كالعلم واليقين الحاصلين
من جانب يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة الحاصلتان
من جانب الشمال وثانيها كالنظر الى آيات الافاق و
الانفس على سبيل التمام والاحكام المزيل للتشكيك و
الاوهام المحصل للمعرفة واعتكامه في القوة العاقلة
التي هي على الجانب الايمن من النفس ويقابله النظر اليها
على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشئة
منها الشبهة والوسواس في الواهمة والمخيلة التي على
الجانب الايسر منها فان الآيات المحكمات بمنزلة الملائكة
المقدسة من العقول والنفوس الكلية لانها مبادي
العلوم اليقينية والمتشابهات والوهميات بمنزلة
الشياطين والنفوس الوهمانية لانها مبادي المقدمات

السفسطية وثالثها كطاعة الرسول المختار والائمة الاطهار
فى مقابلة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل والتشبيه
من الكفار فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة
الملهمين للخير ومن سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين
المغوين بالشر ورابعها كتحصيل العلوم والادراكات التى
هى فى الموضوعات العالية والاعيان الشريفة كالايمان
بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الاخر والبعث
وقيام الساعة ومثول الخلائق بين يدى الله وحضور
الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين فى مقابلة
تحصيل العلوم والادراكات التى هى من باب الحيل و
الخديعة والسفسطة والتامل فى الامور الدنياوية
الغير الخارجة عن دار المحسوسات فان الاول يشبه الملائكة
الروحانية وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت
السماوى والثانى يشبه الابالسة المطرودة عن باب
الله الممنوعة من ولوج السموات المحبوسة فى الظلمات
المحرومة فى الدنيا عن الارتقاء والمحجوبة فى الاخرة عن

دار النعيم **فصل** اعلم ان ما يخطر بالبال من السيئة
فلا مؤاخذه عليه لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل
والهيجان لانهما ايضا لا يدخلان تحت الاختيار واما
الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل هذا مردد
بين ان يكون اضطرارا واختيارا والاحوال يختلف فيه
فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به
واما الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل فان تركه
خوفا من الله تعالى ثم ندم على همه كتبت له حسنة لان
همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على
وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع
بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في
مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه اشد من جده في
موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة
لانه يرجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان
تعوق الفعل لعايق او تركه لعذر لا خوفا من الله كتبت
عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل

على هذا التفصيل ما ورد عن النبي قالت الملئكة رب ذلك
عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان
عملها فاكتبوه عليه بمثلها وان تركها لاجلي فاكتبوه له حسنة
انما تركها لاجلي وعن امير المؤمنين في قوله سبحانه ان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه الاية
عرضت على الانبياء والامم السابقة فابوا ان يقبلوها
من ثقلها وقبلها رسول الله وعرضها على امته فقبلوها
فلما راى الله عز وجل منهم القبول على انهم لا يطيقونها
قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها
على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان
ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فظهر ان ما لا يدخل تحت الوسع لا يؤاخذ بها وعن النبي
وضع عن امتي تسع خصال الخطا والنسيان وما لا يعلمون
وما لا يطيقون وما اضطروا اليه وما استكرهوا عليه
والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما
لم يظهر بلسان او يد وعن الباقر ان الله تعالى جعل لادم في

ذرّيته من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن

همّ بحسنة وعملها كتبت له عشرا ومن همّ بسيّئة ولم

يعملها لم يكتب عليه ومن عملها كتبت له سيّئة و

في روايةٍ ان العبد اذا اذنب ذنبا اُجّل من غدوة الى الليل فان

استغفر الله لم يكتب عليه [illegible] الصادق عن رجل

يجيء منه الشيء على حدّ الغضب يؤاخذه الله تعالى به فقال

الله اكرم من ان يستغلق على عبده وعنه ما من مؤمن

الّا وله ذنب يهجره زمانا ثمّ يلمّ به وذلك قوله الّا

اللمم قال واللمم الرجل يلمّ بالذنب فيستغفر الله منه و

عن [illegible] ان الله ايّد المؤمن بروح تحضره في كلّ وقت

يحسن فيه ويتّقي وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه

ويعتدي فهي معه تهتزّ سرورا عند احسانه وتسيخ

في الثرى عند اسائته فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاح

انفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا رحم الله

امرء همّ بخير فعمله او همّ بشرّ فارتدع عنه ثمّ قال نحن

نؤيّد الروح بالطاعة والعمل له

المقالة الثانية

[illegible]

في معرفة الخلق وتهذيبه اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة
راسخة في النفس يصدر عنها الافعال بسهولة وتيسر
من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث
يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت
الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعال قبيحة
سميت خلقا سيئا وانما شرطنا الرسوخ لان من يصدر
عنه بذل المال مثلا على الندور لحاجة عارضة لا
يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت
رسوخ وانما شرطنا السهولة وعدم الروية لان من تكلف
بذل المال لا يقال خلقه السخاء والسخاء ليس عبارة عن
الفعل فرب شخص خلقه السخا ولا يبذل اما لفقد المال
او لمانع اخر وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل
لباعث او لرياء فلا بد من خلق الحسن من قوة العلم و
قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى
الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان يصير بحيث

يسهل لها ذلك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال
وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح
في الافعال فاذا انحصلت هذه القوة حصلت منها ثمرة
الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة ومن يوت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوتا الغضب والشهوة فحسنهما
في ان يقتصر في انقباضهما وانبساطهما على حد ما
يقتضيه الحكمة والدين واما قوة العدل فهي ضبط قوة
الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل
منزلته منزلة الناصح المشير وقوة القدرة ومنزلة
منزلة المنفذ المضي لاشارته والغضب والشهوة وتنفذ
فيهما الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه
يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه
بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها
مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة
يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استقرت
فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا

ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق في
الاضافة الى ذلك المعنى خاصة وحسن القوة الغضبية
واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها
يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال
الى طرف الزيادة سمي تهورا وان مالت الى الضعف
سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي
شرها وان مالت الى النقصان سمي جمودا والمحمود هو الوسط
والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له
طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما
الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة
خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي
يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق الحسنة
الجميلة واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل
ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله
ولهذا قال الله تعالى مثنيا عليه وانك لعلى خلق عظيم و
الناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فينبغي

ان يقتدى به فانه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد
اشار القران الى هذه الاخلاق فى اوصاف المؤمنين فقال
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا و
جاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون
فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين و
هو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال
هو السخاء الذى يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة
بالنفس هى الشجاعة التى ترجع الى استعمال قوة الغضب
على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الصحابة
وتعالى قوما فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم
اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال
فى الشدة بكل حال ولا فى الرحمة بكل حال **فصل**
اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه واستثقل المجاهدة و
الرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق
ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه فزعم ان
الاخلاق لا يمكن تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل

واستثقل

عليه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان
الخلق هو صورة الظاهر فكما ان الخلقة الظاهرة لا يقدر
على تغييرها فكذلك الخلق الباطن والثاني ان
حسن الخلق انما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا
وغيرها وهذا امر ممتنع والاشتغال به تضييع زمان بغير
فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ
العاجلة وهو محال فنقول لو كان الاخلاق لا تقبل التغيير
لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال الله تعالى
قد افلح من زكاها وقد خاب من دسها ولما قال رسول
الله حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغير
خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى
الانس والكلب من شره الاكل من الصيد الى التادب و
الامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل
ذلك تغير الاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك
ان نقول ان الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمي و
اختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء

البدن داخلاً وخارجاً وبالجملة كلّ ما أمكن حصول كماله وقع
الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل
فيه قوّة الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط
باختيار العبد فانّ النواة ليست بتفاح ولا نخل الّا انها
خلقت خلقة تمكن ان يصير نخلاً ان تضاف اليه التربية
ولا يصير تفاحاً اصلاً ولو بالتربية فاذا صارت النواة
متأثّرة بالاختيار حتى يقبل بعض الاحوال دون بعض
فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما
بالكلّية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلاً ولو
اردنا اسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا
عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا
الى الله وليس المطلوب الّا ذلك دون القمع بالكلّية و
هيهات فانّ الشهوة خلقت لفائدة وهي ضروريّة في
الجبلّة ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو
انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب
بالكلّية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ومهما

بقى اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذى هو وسط
بين الافراط والتفريط فالمطلوب فى صفة الغضب حسن
الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعًا وبالجملة
ان يكون فى نفسه قويًا ومع قوته منقادًا للعقل ولو بطل
الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع
الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلم لم ينفكوا عن
الغضب قال سيدهم انما انا بشر مثلكم اغضب كما يغضب
البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى
يحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه
عن الحق قال تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين
الغيظ وربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا
يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش و
بالرياضة تعود الى الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن
والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا يشك فيها
فصل قد يكون قوة اعتدال القوتين فطريًا بحيث
يخلق الانسان وينشاء كامل العقل حسن الخلق فقد كفى

... بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذى

نقصان

سلطان الشهوة والغضب على عقله كالانبياء والائمة
عليهم السلم وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة والرياضة بحمل
النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد
ان يحصل لنفسه خلق الجود مثلا فطريقه ان يتعاطى
فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا
مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه
فيصير نفسه جوادا واذا اراد خلق التواضع وغلب عليه
التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة
مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ويتكلف الى ان يصير ذلك
خلقا وطبعا وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا
الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا
فالسخي هو الذي يستلذ ببذل المال دون الذي يبذله
عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع
ولن يترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود جميع
العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيئة وما
لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها الى الافعال

الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما
قال رسول الله جعلت قرة عيني في الصلوة ومهما
كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال
فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه
بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى
فعله عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على
الخاشعين قال النبي اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي
الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة
الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستنكار
المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام
وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ
واكمل ولذلك لما سئل رسول الله عن السعادة فقال
طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء
الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات
اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى و
اطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات

تاثره

تاثيرها في القلب وانما يتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات
وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ
فيها حب الله تعالى فلا شيء احب اليه من الله سبحانه ومن
لقائه وكل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح
حتى تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح
فانه يرتفع منه اثر الى القلب وطالب تزكية النفس لا ينالها
بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم ولكن العطلة في يوم
واحد تدعو الى مثلها ثم يتداعى قليلا قليلا حتى تانس
النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا وصغار المعاصي
تجر بعضها الى بعض حتى تفوت اصل السعادة بهدم اصل
الايمان عند الخاتمة فلا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة
ولا بصغر المعصية فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما
اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد تاثير وربما تحصل
الاخلاق الحسنة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة و
مصاحبتهم وهم قرناء الخير والاخلاق السيئة بمشاهدة
ارباب الاعمال السيئة ومصاحبتهم وهم قرناء السوء

فان الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعا فمن تظاهرت في
حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا
وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع و
اتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر
حتى تعوده فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين
من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب و
البعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله
ولكن كانوا انفسهم يظلمون فصل اعلم ان الله
تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت
بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم
القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن
اراد ان يقف على عيب نفسه فليطلب صديقا صادقا
بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليراقب احواله
وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة

والظاهرة ينبهه عليه او يستفيد معرفة عيوب نفسه
من لسان اعدائه فان عين السخط تبدى المساويا قيل
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط
تبدى المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكر
عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدح
ويخفى عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو
وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع
بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم
او يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فطالب
نفسه بتركه وما يراه محمودا طالب نفسه به وينسب ذلك اليه
فان المؤمن مراة المؤمن فيرى فى عيوب غيره عيوب
نفسه وليعلم ان الطباع متقاربة فى اتباع الهوى فما
يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن مثله
او عن اعظم منه او عن شئ منه فيتفقد نفسه ويطهرها
عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك
الناس كلهم ما يكرهون من غيرهم لاستغنوا عن

المؤدب قيل لعيسى على نبينا واله وعليهم السلم من ادبك
فقال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته

الباب الثاني فيما يؤدي الى مساوي الاخلاق

من البطن والفرج واللسان اعلم ان الاخلاق انما ترسخ
في النفس بتكرير الاعمال والاعمال انما تصدر من القلب
بتوسط الجوارح وكل جارحة يصلح لان يصدر منه
الاعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة ولان يصدر
منه الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة فلابد من
مراعاة القلب والجوارح بصرفهما الى الخيرات ومنعهما من
الشرور واعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن والفرج
واللسان ففي الحديث النبوي من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه
فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان
اما شهوة البطن فبها اخرج ادم وحواء من دار القرار الى
دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما
حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع
الشهوات ومنبت الادواء والافات اذ يتبعها شهوة

الفرج

الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم
والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة
الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار
المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات و
المحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الرياء وغائلة التفاخر
والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والعداوة
والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي و
المنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد
من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع و
ضيق مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك
سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في
الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا
التكالب على الدنيا قال النبي ما ملأ ابن آدم وعاء شرا
من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن به صلبه فان
كان هو فاعلا لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه و
ثلث لنفسه وقال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب

فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال عليه السلام
افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم
الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وقال ان
البطن ليطغى من اكله واقرب ما يكون العبد الى الله اذا
خف بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله اذا امتلا بطنه
وفي مصباح الشريعة قال انه ما من شيء اضر لقلب المؤمن
من كثرة الاكل وهي مورثة شيئين قسوة القلب و
هيجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام
للقلب وصحة البدن وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء
عن العبادة وبالجملة ففوائد الجوع كثيرة منها صفاء القلب
ورقته والاستلذاذ بالطاعة والانكسار المانع عن
المعصية والغفلة وذكر جوع القيمة وكسر شهوة الفرج
المستولية بالشبع ودفع النوم الذي يكل الطبع ويضيع
العمر ويفوت القيام والتهجد وتيسير المواظبة على الطاعة
لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد

والاكل

والاكل ودفع الامراض الشاغلة عنها فان المعدة
بيت كل داء والحمية راس كل دواء **فصل** قد علمت
ان المقصد الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق
الوسط وما ذكرنا في فضايل الجوع ربما يومي الى ان الافراط
فيه مطلوب هيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل
ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء
الشرع بالمبالغة في المنع على وجه يومي عند الجاهل الى
ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان
والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا
طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يطلب غاية الجوع
حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل
الاعتدال ولما بالغ النبي ﷺ في الثنا على قيام الليل وصيام
النهار ثم علم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم
الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل
بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل
المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا

فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل
الطعام يمنع العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع
منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث لا يبقى للاكل
فيه اثر ليكون متشبها بالملئكة فانهم مقدسون عن
ثقل الطعام والم الجوع والبه الاشارة بقوله تعالى كلوا
واشربوا ولا تسرفوا والقوام فيه ان لا ياكل طعاما
حتى يشتهيه ويرفع يده وهو يشتهيه فصل
واما شهوة الفرج فانما سلطت على الانسان لبقاء
النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذة فيقيس بها اللذات
الاخروية فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات
الاجساد كما ان الم النار اعظم الام الجسد فالترغيب
والترهيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك الا
بالمحسوس ولذة مدركة هذه فايدتها ولكن فيهما من
الافة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم
ترد الى حد الاعتدال فان لها ايضا افراطا وتفريطا فان
افراطها ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى التمتع

بالنساء

بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او بقهر الدين

حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي هذه الشهوة بمن

غلب وهم على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشأ عن

استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد

خلق العقل ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة

محتالاً لاجلها وهو مرض قلب فارغ لا همّ له وانما يجب

الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا

استحكم عسر دفعه وتفريط هذه الشهوة اما بالغنة او الخارج

عن الاعتدال او بالضعف عن امتناع المنكوحة وهو ايضا

مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للشرع

والعقل في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها

يكون بالجوع وبالنكاح قال رسول الله صلعم معاشر الشباب

عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان

الصوم له وجاء فصل اعلم ان هذه الشهوة اغلب

الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل

الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه

وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما العجز او الخوف او
الحياء او المحافظة على حشمة وليس في شئ من ذلك ثواب
فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة
ان لا تقدر ففي هذه العوايق فايدة وهو دفع الاثم فمن
ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما
الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة
عليه وانتفاء الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند
صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال
رسول الله من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد وقال
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم
رجلا دعته امراة ذات حسن وجمال الى نفسها فقال
اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه
عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى
بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة
الشيطان في هذه الشهوة العظيمة قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال النبي النظرة سهم مسموم

من

من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته
في قلبه وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النسآء فان اول فتنة
بني اسرائيل كانت من النسآء فصل واما اللسان فانه
من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه
عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا
بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من
موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون
او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي
كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا
شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر
الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور
والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير
الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان
ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد فله في الخير مجال
رحب وله في الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان
واهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان

وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا
يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصايد السنتهم
كما ورد فى الخبر النبوى ولا ينجى من شر اللسان الا ان يقيد
بلجام الشرع فلا يطلق الا فيما ينفع فى الدنيا والاخرة و
يكف عن كل ما يخشى غايلته فى عاجله واجله وعلم ما
يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل
بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على
الانسان اللسان فانه لا تعب فى تحريكه ولا مؤنة فى اطلاقه
وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر
من مصايده وحبائله وانه اعظم الة الشيطان فى استغواء
الانسان ولذلك قال النبى من صمت نجا وقال الصمت حكم
وقليل فاعله اى هو حكمة وحزم وقال امسك لسانك فانها
صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة
الايمان حتى يخزن لسانه وقال من راى موضع كلامه من عمله
قل كلامه الا فيما يعنيه ومر امير المؤمنين برجل يتكلم
بفضول الكلام فوقف عليه فقال يا هذا انك تملى

على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما
لا يعنيك وعن النبي قال ان لسان ابن ادم يشرف على جميع
جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان
تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما
نثاب ونعاقب بك وعن علي [illegible] ان شيعتنا الخرس [illegible]
النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة
للعقل قال في حكمة ال داود على العاقل ان يكون عارفا
بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه وقال لقمان لابنه
يا بني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت
من ذهب وفي مصباح الشريعة قال الصادق الكلام اظهار ما
في قلب المرء من الصفا والكدر والعلم والجهل [illegible]
المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل
والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك
فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة
وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضاء
الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله

عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما استر
اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام
وكذلك بين الرسل والامم ثبت بهذا ان افضل الوسائل
والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد و
اسرع عقوبة عند الله واشدها ملامة واعجلها سآمة
عند الخلق منه مبحث عن الكلام والسكوت ايهما
افضل فقال لكل واحد منهما افات فاذا سلما من الافات
فالكلام افضل من السكوت قيل وكيف ذاك يا ابن رسول
الله قال لان الله عز وجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت انما
بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت
ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا يجتنب
سخط الله بالسكوت انما ذلك كله بالكلام ما كنت لاعدل
القمر بالشمس انك تصف فضل السكوت بالكلام ولست
تصف فضل الكلام بالسكوت فصل اعلم ان افات
اللسان كثيرة منها الخطا والكذب والغيبة لغير الماذون
فيها وخلف الوعد والنميمة والريا والنفاق والفحش والمراء

دراكة

وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض فى
الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق و
هتك العورة وافشاء السر والتحرية والاستهزاء وغير ذلك
وهى سالمة الى اللسان لا ثقل عليه ولها حلاوة فى القلب
وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخايض فيها
قلما يقدر على ان يملك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه
عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم وفى الخوض خطر
وفى الصمت نجاة فلذلك عظم فضل الصمت مع ما فيه من
جمع الهمم ودوام الوقار والفراغ فى الفكر والذكر والعبادة
والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الاخرة
قال الله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال لا خير
فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين
الناس وقال النبى طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق
الفضل من ماله فصل ثمانية الكذب والغيبة
غير الماذونين لان من الكذب والغيبة ما يجوز قال الصادق
كل كذب مسئول عنه صاحبه الا فى ثلثة رجل

كاذب في حربه فهو موضوع عنه ورجل اصلح بين اثنين يلقى
هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما و
رجل وعد اهله شيئا وهو لا يريد ان يتم لهم انتهى وعن
النبي (ص) وورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وفي بعض
المعاريض التورية وذلك اذا اضطر اليها قال النبي (ص) من
القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له قال ليس لفاسق
غيبة وقال الباقر ع لو اخي بخل عرضه وعقوبته قال اصحاب
الحق فقال وقد ورد الحديث في وجوب غيبة اهل البدع
والريب ليحذرهم الناس وقال انزعوون عن ذكر الفاجر
حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس و
في معنى الغيبة خفاء لا بد ان ينكشف الغطاء عنه فقد
روي عن النبي (ص) قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله
اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي
ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته فان لم
يكن فيه فقد بهته وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع
الغيبة ان يذكر احدا بما ليس هو عند الله عيبا ويذم ما يحمده

اهل العلم فيه واما الخوض في ذكر غايب بما هو عند الله
مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه
اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه ويكون مبينا
للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط ان لا
يكون للقايل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله و
اما اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو ماخوذ بفساد
مراده وان كان صوابا اقول وينبغي تخصيص هذا الحديث بما
اذا لم يكن صاحبه متجاهرا بقبيحه ساترا على نفسه كارها للظهور
ويدل على ذلك ما روي عنه ايضا انه قال الغيبة ان تقول
لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه امرا قد ستره الله
عليه لم يقم عليه فيه حد وعنه قال من ذكر رجلا من خلفه
بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه
فقد بهته وعنه ايضا قال الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله
عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا و
خص بعض علمائنا تحريم الغيبة بغيبة من يعتقد الحق لان
ادلة الحكم غير متناولة لاهل الضلال فان الحكم فيها

منوط بالمؤمنين او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا يتناول
من لا يعتقد الحق تنبيهان ان اصل الغيبة يتنوع بعشرة
انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر بلا
كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين
قال ان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه فان لم يلحقه
فاستغفر الله وساير افات اللسان مستغن عن البيان

الباب الثالث في الغضب والحقد والحسد اعلم

ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي انها
لا تطلع الا على الافئدة وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان
الجمر تحت الرماد وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين
او حمية الجاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبارين التي لها
عرق الى الشيطان اللعين حيث قال خلقتني من نار و
خلقته من طين فمن شان الطين السكون والوقار ومن
شان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطهاد و
من نتايج هذا الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك
وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح لها

مقيضهما

ساير

سائر الجسد قال رسول الله صلعم الغضب يفسد الايمان كما يفسد
الخل العسل وقال من كف غضبه كف الله عنه عذابه قال
الباقر ان هذا الغضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه
ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه
فليلزم الارض فان رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك وقال
وايما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه وليمسه فان
الرحم اذا مست سكنت قال ع ابي يقول اي شيء اشد من
الغضب ان الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله و
يقذف المحصنة وقال من كف غضبه ستر الله عورته
وقال ان في التورية مكتوبا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك
عند غضبي وقال الصادق ع الغضب مفتاح كل شر وانما ينبسط
الدم عند الغضب اذا غضب الانسان على من دونه واستشعر
القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه
ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى
جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان
على نظيره يشك فيه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر

جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن آدم وان احدكم اذا غضب

ويضطرب لطلب الانتقام وانما يتوجه هذه القوة عند
ثورانها الى دفع المؤذيات التي خلقت لاجله قبل وقوعها
والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت
هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به و
الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة
من التفريط والافراط والاعتدال واما التفريط فبفقد هذه
القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه
لا حمية فيه وهو ناقص جدا ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم
واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والخمود والسكوت
عند مشاهدة المنكرات وقد وصف الله خيار الصحابة
بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال تعالى يا ايها
النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الشدة
والغلظة من آثار قوة الغضب واما الافراط فهو ان تغلب
هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين و
طاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار
وسبب غلبته قد يكون فطريا وقد تكون اعتياديا بان

يخالط

يخالط قوماً يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون
ذلك شجاعة ورجولية فيقول احدهم انا الذى لا اصبر على
المحال ولا احتمل من احد امراً ومعناه لا عقل لى ثم يذكره فى
معرض الفخر بجهله فمن سمعه فيرسخ فى نفسه حسن الغضب
وحب التشبه بالقوم فيعمى ويصم عن كل وعظ ولا
يفيد الاستضاءة بنور عقله لانطفائه بدخان الغضب
ومن اثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة
فى الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام وشدة
اضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق و
تحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى
الغضبان فى حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه
حياء من قبح صورته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان
الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا
ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فهذه اثره فى الجسد واما
اثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام الذى
يستحيى منه ذوو العقول ويستحيى منه قائله عند

فتور الغضب في ذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما
اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل و
الجرح عند التمكن من غير مبالات فان هرب منه المغضوب
عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه
فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدو الواله
والسكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا
يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه شبه
الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب
القصعة على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليها وقد
يتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبهما
ويقول الى متى منك كانه يخاطب عاقلا واما اثره في
القلب فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساة
والحزن والعزم على افشاء السر وهتك الاستار وغير ذلك
من القبائح وهذه ثمرة الغضب المفرط وينبغي لصاحبه
ان يعالج نفسه من سورة الغضب ويقف على الوسط
الحق بين الطرفين وهو الصراط المستقيم وهو ادق من

٤٠

الشرّ واحدٌ من السّيف فان عجز فليطلب الاقرب منه قال
الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النّساء ولو
حرصتم فلا تميلوا كلّ الميل فتذروها كالمعلّقة فليس كلّ
من عجز عن الاتيان بالخير كلّه ينبغى ان ياتى بالشّر كلّه
ولكن بعض الشّر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من
بعض فصل اعلم انّ الانسان ما دام يحبّ ما
يوافقه ويحتاج اليه ويكره ما يخالفه ويتاذّى منه
فلا يخلوا عن الغيظ والغضب بجبلّة طبعه فانّه مهما
اخذ منه محبوبه او قصد بمكروه غضب لا محالة وهذا
يختلف باختلاف الاشخاص انّما المحبوب الضّروري لكلّ
احد ما اشار اليه رسول الله صلعم بقوله من اصبح امنا فى سربه
معافا فى بدنه وله قوت يوم فكانّما حيزت له الدّنيا
بحذافيرها فمن كان بصيرا بحقايق الامور سلمت له هذه
الثّلث وكلّ ما كان ضروريّا له خاصّة يتصوّر ان لا
يغضب فى غيرها فيقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله
فى الظّاهر الّا على ما يستحبّه الشّرع ويستحسنه العقل

ذلك بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم
والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب و
ذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته
وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي
ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد
جدا ان قيل انما الواجب التألم بفوات المحتاج اليه
دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فلا يغضب على
احد وان كان يحصل منه كراهة وليس من ضرورة كل
كراهة غضب فالانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا
يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى
يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه
اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب و
من وقع عليه ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم
فيندفع الغضب لغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن
الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يفعل
له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه

41

وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على القضاء لانه يرى

ان الخيرة فيه فنقول ان هذا على هذا الوجه غير محال ولكن

غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف لا

يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسايط رجوعا

طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر

لتصور لرسول الله عن امير المؤمنين قال كان النبي لا يغضب

للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء

حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله

فهو التفات الى الوسايط على الجملة بل كل من غضب على من

ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه مهما فانما

غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل

الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري

اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره

فان اشتغال القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه

وهذا كما ان سلمان رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني

فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول